

ديوان

العشيق

من شعر
صلاح الدين القوصي

(الجزء الثالث عشر)

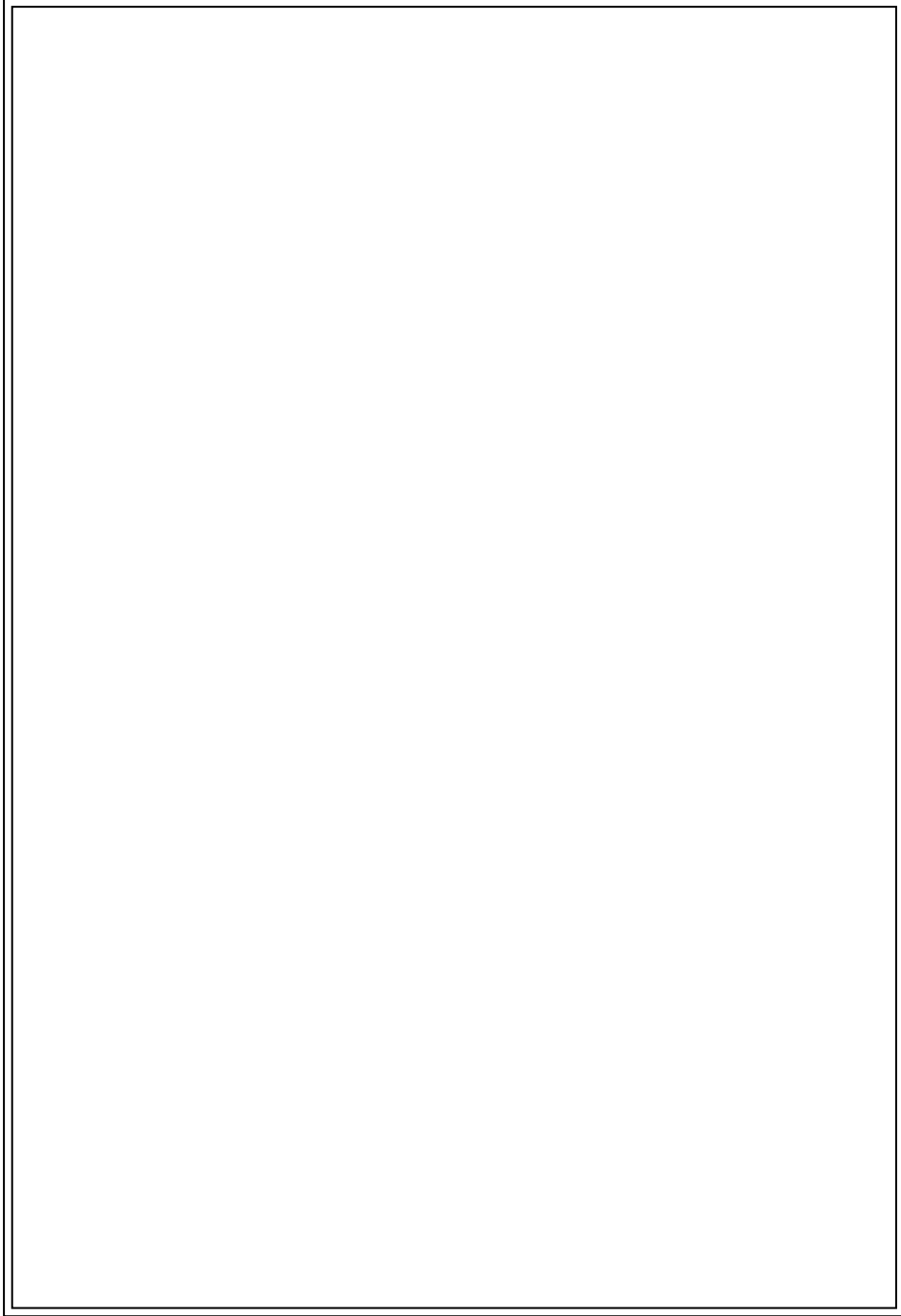
الطبعة الأولى

غرة رمضان ١٤٢٦ هـ / أكتوبر ٢٠٠٥ م

وقف لله تعالى لايباع



المقدمة
"المؤتمن"



يا ربُّ .. باسمِ اللّهِ في الآفاقِ
واللّهُ أكبرُ فوق كلِّ مُلاقى
وَبِسْرِّ نورٍ قد جَلَوْتَ بصيرتى
حتى عَلَوْتُ على جميع رفاقى
يا واحداً .. فرداً .. عَلَوْتَ بِعِزَّةِ
جَلَّتْ عن العُبَّادِ والعشَّاقِ
يا نورَ نورٍ لا يُطالُ بِحيلةِ
لكن يُنالُ بِمِنحةِ الرزاقِ
والكلُّ تحت الحُجُبِ .. عَبْدًا يَدْعَى
وَهُمَا بِمعرفةٍ بِقُدسِ الباقي
والكلُّ يجهلكمُ .. وما قَدَرُوا سِوَى
فِعْلا وَوَصْفاً قد جَلَّاهُ الساقى

ما شاهدوا إلا نفوسَ ذواتهمُ
وَ لَأَنْتَ فِيهَا مَنْبَعُ الْإِشْرَاقِ
وَ لَأَنْتَ فِي نَوْرِ الْجَلَالِ مُعَظَّمُ
وَ لِكُلِّ رُوحٍ فِيكَ بَعْضٌ مَلَاقِي

وَ صَلَاةُ رَبِّي أَرْتَجِيهَا مِئَةً
لِتَكُونَ عِنْدِي عُرْوَتِي وَ وَثَاقِي
أُهِدِي إِلَى أَنْوَارِ سِرِّ "المُصْطَفَى"
وَ يَسِرُّ نَوْرَ "المُصْطَفَى" المِصْدَاقِ
لِتَكُونَ مِعْرَاجِي وَ سِدْرَةَ مُنْتَهَى
رُوحِي .. وَ إِسْرَائِي .. وَ سِرِّ بُرَاقِي
أَنَا كُلُّ إِسْرَائِي وَ مِعْرَاجِي بِهَا
فِي رُوحِ "طه" أَسْتَقِي .. وَ أَسَاقِي

فلقد عرفتُ السرُّ منه تَكْرُماً
لَمَّا أَفَاضَ عَلَيَّ فِي إِغْدَاقِ
يا "خَازِنَ الأَسْرَارِ" قال "المصطفى" ..
إِلْزَمَ رِحَابِي .. وَالتَزَمَ بِرِوَاقِي
وَاحْفَظْ لَنَا الأَسْرَارَ .. وَانْشُرْ بَعْضَهَا ..
وَارْأَسْ زِمَامَ العِشْقِ وَالعِشَاقِ
إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ دُونَ غَيْرِكَ خَازِناً
وَ لِسِرِّ أنوارِي لَكَ اسْتِحْقَاقِي

يا سیدی .. أنا عبدُ فضلٍ .. اشتكى
روحی .. لتقصیری و سوء نفاقی
لَمْ انتظرُ يوماً و لا مُتَوَهِّماً !!
فَضْلاً أَتِيهِ بِهِ عَلَيَّ الأَعْنَاقِ !!

لكن .. وإني المستكينُ ببابه
قد صرتُ بين نعاله والساقِ
فلكى .. ومعراجي .. يروح "المصطفى"
فأراه من حولى .. وفي أعماقي
إني أنا العبدُ المقرُّ بذنبه
لكن بفضل الله في إطلاقِ
سرِّ النبوة .. بل ونور "المصطفى"
شغلي .. وهمي .. بل ونور مذاقي
"والخضر" راح .. وقد مضت أيامه
من بعد طول مودةٍ وعناقِ
وبقيتُ مُنفرداً .. أتيه يحظوتني
منكم .. وأشرحها لخير رفاقِ

أنا حيث كنت أكون.. ظلًّا لا يُرى..
يا نورَ ظلِّ اللهِ في الآفاقِ
لو تعرفُ الأكوانُ قدرَ "محمدٍ"
حقًّا.. لذابوا من نوى وفراقٍ!!
إن قيل: ظلُّ الله.. قلتُ "محمدٌ"
نورٌ لظلِّ النورِ في إشراقِ
وأليس ظلُّ اللهِ منه الرحمةُ
العظمى.. ومن ذا قد تراه يُساقى!!
أنا "رحمةُ الرحمنِ" قال "المصطفى"
فأفهمُ لسرِّ الوصفِ والإلحاقِ!!

وَلَقَدْ تَذَكَّرْتُ الْحَوَادِثَ كُلَّهَا
وَبَقَيْتُ مِنْذُ "أَلَسْتُ" .. فِي اسْتِعْرَاقِ

أنا أرتجى منكم عليه صلاتكم
مَا سَطَّرَتْ أَبْدَاءَ عَلَى أوراقِ
هي بينكم سرٌّ وبين "المصطفى"
تَسْمُو وتعلو كلَّ سرِّ راقٍ
"العَرْشُ"!! "والكرسى" .. بعضُ كَمَالِهَا
"واللوحُ" "والميزانُ" في استغراقِ
وَتَرْفُفُهَا الأَكْوَانُ فِي فَرَحٍ بها ..
فَيُقَالُ: نَالَتْ فِي الْوَرَى اسْتِحْقَاقِي
وَيُقَالُ: هَدَى سِرُّ نُوْرٍ "محمدٍ"
أَعْلَى وَأَسْمَى مِنْحَةَ الْخَلَاقِ
اللَّهُ يَقْبَلُهَا وَيَنْشُرُ نَوْرَهَا
وَيُقَالُ: لَمْ يَبْقَ لَهَا مِنْ بَاقِي

إِنِّي أَتَيْتُ إِلَى رَحَايِكَ سِيدِي
لَأُذِيعَ مِمَّا قَدْ حَوَتْ أَوْرَاقِي
أَنَا كُنْتُ مِنْذُ طِفُولَتِي أَحْيَا كَمَا
يَحْيَا الْغَرِيقُ بِظُلْمَةِ الْأَعْمَاقِ
دُنْيَا زَوَالٍ .. وَ الْخَلَائِقُ فَوْقَهَا
عَاشُوا بِجَهْلِ غُرُورِهِمْ وَ شِقَاقِ
أَحْسَسْتُ أَنِّي عِشْتُ قَبْلًا فَوْقَهَا!!
وَ حَصَصْتُ بَعْضَ الْخَلْقِ فِي إِشْفَاقِ
وَ كَتَمْتُ سِرِّي .. لَمْ أَبْحُ أَبَدًا بِهِ
وَ حَيَّيْتُ فِي رُكْنٍ بِقَعْرِ رَوَاقِي
مَا رَاقَنِي قَوْلٌ لِشَيْخٍ قَبْلَنَا
إِلَّا كَهَدَاهِدَةٍ لِعَقْلِ مُعَاقٍ !!

هُوَ كَالْقَشُورِ .. بَغِيرِ تَفْكِيرٍ .. وَلَا
رُوحٍ .. كَنْقَلِ الرَّسْمِ مِنْ أَوْراقِ
وَسَأَلْتُهُمْ: أَيْنَ الْجَدِيدُ؟؟ فَحَمَلْتُوا!!
قَالُوا: أَنْتَ تَرُوتُ الأَعْرَاقِ!!
أَتُرَاكَ مَعْرُوراً!! وَجِئْتَ لِتَدَّعِي!!
قُلْتُ: اتْرُكُونِي .. وَاسْعِدُوا بِفِرَاقِي

وَأَتَيْتَنِي نَوْمًا وَيَقْظَانَا يَمًا
فَاقَ العُقُولَ .. وَفَوْقَ كُلِّ مَذَاقِ
عَلَّمْتَنِي .. وَمَنْحَتَنِي .. يَا سَيِّدِي
مِنْ بَعْضِ نُورِكَ مُنْتَهَى إِشْرَاقِي
وَرَفَعْتَنِي فَوْقَ الجَمِيعِ .. وَقُلْتَ لِي:
حَدِّثْهُمْ عَنِّي .. وَعَنْ إِغْدَاقِي

و انشرْ لَنَا بَعْضاً مِنَ النُّورِ الَّذِي
قَدْ ظَلَّ سِرّاً مَا ارْتَقَى مِنْ رَاقٍ
هَذَا لَكُمْ مِنْى خُصُوصٌ .. جَلَّ مَنْ
أَعْطَى .. وَ جَلَّتْ مَنحَةُ الرِّزَاقِ
إِنى اصْطَفَيْتُكَ مِنْ قَدِيمٍ "خَازِناً"
لِخُصُوصِ أَسْرَارى عَلَى الْآفَاقِ
وَ الْآنَ .. قُمْ بَشِّرْ .. بِمَا عَايَنْتَهُ
فِينَا .. وَ عَنَّا .. فُزْتُ بِالْإِطْلَاقِ
وَ إِذَا هُمْ اعْتَرَضُوا فَلَا تَعْبَأْ بِهِمْ
شَرْقاً وَ غَرْباً أَوْ بَارِضِ عِرَاقٍ !!
هَمْ يَحْبِسُونَ عَقُولَهُمْ فِيمَا مَضَى
مِنْ قَوْلٍ مُجْتَهَدٍ مَضَى يَمْدَاقِ

مَا شَأْنُهُمْ !! حَبَسُوا عُقُولَهُمْ عَلَيَّ
شَرَحَ قَدِيمٍ كَانَ فِي إِغْلَاقٍ !!
وَلَقَدْ نَسُوا أَنَّ الزَّمَانَ سَيَنْجَلِي
عِلْمًا يُبَارِي نَهْضَةَ السُّبَّاقِ
قَدْ مَجَّدُوا الْقَوْلَ الْقَدِيمَ كَأَنَّهُ
مِنِّي .. وَقَالُوا إِنَّهُ مِصْدَاقِي !!
وَلَقَدْ نَسُوا أَنِّي أُخَاطَبُ كُلِّ مَنْ
يَحْيَا .. وَحَتَّى نَفْخَةَ الْأَبْوَاقِ
بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ !! الَّتِي لَا يَنْتَهِي
فَهْمٌ لَهَا .. مَهْمًا يَرَى مِنْ رَاقِي
فِي كُلِّ عَصْرٍ يُجْتَلَى مِنْ قَوْلِنَا
مَعْنَى يُغَايِرُ مَا اجْتَلَاهُ الْبَاقِي

فاصبرُ بُنَىٰ عَلَيْهِمْ .. فلعلهم
يوما يعيدوا البحث في الأعماقِ
رَبِيَّ يُرِيهِمْ كُلَّ يَوْمٍ آيَةً
تُبْدِي وَتُظهِرُ قُدْرَةَ الْخَلَاقِ
فلسوف يوما يفهمون رموزكم
إن صارت الأرواحُ في إشراق

إني أتيتُ إلى رحابك سيدي
لأُذِيعَ بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ أَوْراقِي
أنتَ الكفيلُ... هِدَايَتِي وَشَفَاعَتِي..
وَلَأَنْتَ فِيَّ .. وَ مُمْسِكُ يَوْثَاقِي
أنا فيكمُ أحيًا.. وَفِيكَ مَعَارِجِي..
في بُرُزْخِ مِنْكُمْ.. وَ حَوْلَ نِطَاقِي

يا قارئى .. فاسمعُ حديثَ إلهنا..
وَ أَفْهَمَ رَمُوزَ الْقَوْلِ لِلذُّوْاقِ
اللَّهُ قَالَ : النُّورُ أَصْلُ "مُحَمَّدٍ"
"وَ مُحَمَّدٌ" .. نُورِى عَلَى إِطْلَاقِى
اللَّهُ نُورٌ إِنْ فَهَمْتَ رَمُوزَنَا
"وَ مُحَمَّدٌ" .. عِنْدِى سَنَا إِشْرَاقِى
مَشْكَاتُ نُورِى .. كَيْفَ تَفْهَمُ قَوْلَنَا !!
هَلْ غَيْرَ نُورِ اللَّهِ فِى الْآفَاقِ !!
"وَ الرُّوحُ" عِنْدِى .. مِنْهُ كُلُّ حَيَاتِهِمْ
وَ نَفَخْتُ مِنْ رُوحِى كَمَاءِ السَّاقِى
وَ الْعَالَمُ الْعُلُوى .. وَ الْمَلَكُوتُ .. إِنْ
تَفْهَمُ وَ أَقْلَامُ الْقَضَا .. وَ الْبَاقِى
"وَ اللُّوحُ .. وَ الْمِيزَانُ" .. وَ الْجَنَّاتُ .. مِنْ
نُورِى .. وَ كُلُّ الْمَلِكِ بِالْإِحْقَاقِ

"وَالْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ" ..نورُ خارقٍ
" وَبَيْنَنَا الْمَعْمُورِ " سِرُّ رَوَاقِي
إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُنَا ..فَأَنْتَ يَقْدُسِنَا
مِنْ بَعْدِ نَارِ الطُّهْرِ وَالْإِحْرَاقِ
فَإِذَا فَنَيْتَ .. بَقِيَتْ حَيًّا عِنْدَنَا ..
وَرَأَيْتَ مِنِّي مُنْتَهَى إِغْدَاقِي
تَسْمُو.. وَتَعْلُوفِي كَمَالِ "مُحَمَّدٍ"
مِعْرَاجُ صِدْقٍ .. تَسْتَقِي وَتُسَاقِي
مِنْ بَعْدِهِ .. صَرْتِ الْيَقِينِ مُوَحَّدًا
حَقًّا .. وَتَصْعَدُ تَلْتَقِي وَتُلَاقِي
هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدِي خَالصًا !!
فَافْتَحْ بِرُوحِكَ عُقْدَةَ الْمِغْلَاقِ
وَأَدِمْ عَلَيَّ " طه " الرِّسُولِ صَلَاتِكُمْ
مِنِّي .. كَعَيْتِ الْمَزْنِ بِالْأَرْزَاقِ

إِنِّي أُصَلِّي دَائِمًا أَبَدًا .. عَلَيَّ
نُورِي وَهَدْيِي .. رَحْمَتِي وَعَتَاقِي
مَا يَعْرِفُ الرَّحْمَنَ غَيْرُ " مُحَمَّدٍ "
فَاحْفَظْ عَلَيْهِ الْعَهْدَ بِالْمِيثَاقِ
فَإِذَا صَدَقْتَ .. وَكُنْتَ عَبْدًا خَالِصًا
وَدَخَلْتَ عِنْدِي زُمْرَةَ الْعَشَاقِ
فَلَرَبِّمَا يَحْنُو عَلَيْكَ " مُحَمَّدٌ "
فِيُرِيكَ بَعْضًا مِنْ كَمَالِ خَلَاقِي
مَا عَبْدُنَا أَبَدًا يَغْيِرُ " مُحَمَّدٍ "
يَسْمُو إِلَيْنَا .. أَوْ يَرَى إِشْرَاقِي
أَنَا نَاطِرٌ دَوْمًا إِلَيْهِ .. وَقَلْبُهُ
فِيهِ الْعُرُوجُ وَسِرُّ نُورِ بُرَاقِي

فادخلُ إلى قلبِ الرسولِ بِحُبِّهِ
تحيا بخيرِ مَعِيَّةٍ وَرِفاقِ

يا سيِّدى .. أنا لن أبوحَ بِسِرِّكُمْ
لكن أُشيرُ إشارةَ الحُذاقِ
أَنْ قَلتُ أُعشِقُكُمْ .. فهذا هَيِّنٌ ..
أنا لستُ مِنْكَ كَسائِرِ العِشاقِ
أنا مِنْكَ فيكَ .. مُجَزَّءٌ مُتَواصِلٌ ..
حتى جَهِلتُ تَواصُلِي وَفراقِي !!
يا سيِّدى .. أنا مِنْكَ فيكَ مُبرَزَخٌ !!
وَ لَكُمْ أَصونُ العَهْدِ بِالميثاقِ
أنتُ الشرابُ .. وَ مِنْكَ رَوْحُ كيانهِ
وَ أنا الحفيظُ بِأمرِكُمْ وَ الساقِي

مِنْ يَوْمِ قُلْتُ "بَلَى" .. عَرَفْتُكَ سَيِّدَى ..
فَلَزِمْتُ بَيْنَ نَعَالِكُمْ وَ السَّاقِ
وَ اخْتَرْتَنِي .. وَ اللّهُ أَيَّدَنِي بِكُمْ
يَا لِلْفَخَارِ بِنِعْمَةِ الرِّزَاقِ
يَا مُسْكِرَى .. أَقْصِرْ .. فَإِنَّ الْفَضْلَ مِنْ
رَبِّي وَ إِنِّي الْعَبْدُ فِي إِمْلَاقِ
يَا سَيِّدَى .. أَنَا أُرْتَجِيكَ سَمَاحَةً
إِنْ زَلَّ مِنْي الْقَوْلُ مِنْ إِغْلَاقِ
مَا قَدْ عَرَفْتُ .. مَضَى بِكُلِّ خَوَاطِرِي
قَبْلًا .. وَ بَانَ مِنَ الْقَدِيمِ طَلَاقِي
وَ أَنَا الْوَثِيقُ بِمَا عَرَفْتُ .. وَ مَوْقِنًا
عَيْنَ الْيَقِينِ .. بِرُؤْيَا الْأَحْدَاقِ
فَإِذَا زَلَلْتُ .. مُخَلِّطًا بِخَوَاطِرِي
كَالْمَاءِ يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِ سَوَاقِي

فاجبرُ بِجُودِكَ زَلَّتِي مِنْ هَيْبَتِي..
فالأمرُ فوقَ تحمُّلي وَنِطاقِي
يا رَبُّ صَلِّ عَلَيْهِ خَيْرَ صَلَاتِكُمْ
ما سَطَّرَتْ أَبَدًا على أوراقِ
هِيَ بينكم سِرٌّ وَبين "المصطفى"
تَسْمُو وَتَعْلُو كُلَّ سِرِّ راقِي
"العرشُ وَالكِرسِيُّ" بعضُ كمالِها
"وَاللوحُ وَالمِيزانُ" في استغراقِ
وَ تَرْفُها الأَكوانُ .. في فَرَحِ بها
فَيُقَالُ: نالَتْ في الوري استحقاقِي
وَ يُقالُ: هَذِي سِرُّ نورِ "محمدٍ"
أعلى وَ أسمى مَنحةَ الرزاقِ
اللَّهُ يقبلها .. وَ ينشرُ نورَها..
وَ يُقالُ: لَمْ يَبْقَ لها مِنْ باقِي

وَيَحْمَدُكُمْ مَوْلَايَ أَخْتِمُ .. مُقْرِنًا
بِالْحَبِّ .. وَالتَّقْدِيسِ لِلْخَلْقِ ١.٧

*



المدينة المنورة

غرة رجب ١٤٢٦ هـ - أغسطس ٢٠٠٥ م



